بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٨ – سُورَة الكَوثر

مكية ، ويقال مدنية ، وآيها ثلاث .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ)

[٢] (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ)

[٣] (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ)

« إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ » أى الخير الكثير من القرآن والحكمة والنبوة والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدارين . روى ابن جرير[١] عن أبى بشر قال : سألت سعيد بن جبير عن الكوثر ، فقال : هو الخير الكثير الذى آتاه الله إياه . فقلت لسعيد : إنا كنا نسمع أنه نهر فى الجنة . فقال : هو من الخير الذى أعطاه الله إياه « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ » قال الإمام: أى فاجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك مما هو نسك لك لله وحده، فإنه هو مربيك ومسبغ نعمه عليك دون سواه ، كما قال تعالى[٢] (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَاشَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ » قال ابن جرير[٣] : أى إن مبغضك يا محمد، وعدوك، هو الأبتر . يعنى الأقل الأذل المنقطع دابره الذى لا عقب له.

روى ابن إسحق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : (دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له . فإذا هلك انقطع ذكره) فأنزل الله هذه السورة .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٢١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

(٢) [٦/ الأنعام/ ١٦٢و١٦٣] .

(٣) انظر الصفحة رقم ٣٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

وعن عطاء قال : نزلت فى أبى لهب . وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال : بتر محمد الليلة . فأنزل الله، فى ذلك، السورة . وقال شمر بن عطية: نزلت فى عقبة بن أبى معيط . قال ابن كثير : والآية تعم جميع من اتصف بذلك ، ممن ذكر وغيرهم .

وقال الإمام : كان المستهزئون من قريش كالعاص بن وائل وعقبة بن أبى معيط وأبى لهب وأمثالهم ، إذا رأوا أبناء النبى ﷺ يموتون، يقولون: بتر محمد . أى لم يبق له ذكر فى أولاده من بعده، ويعدون ذلك عيبا يلمزونه به وينفرون به الناس من أتباعه وكانوا إذا رأوا ضعف المسلمين وفقرهم وقلتهم يستخفون بهم ويهونون أمرهم ، ويعدّون ذلك مغمزاً فى الدين . ويأخذون القلة والضعف دليلا على أن الدين ليس بحق ، ولو كان حقًّا لنشأ مع الغنى والقوة ، شأن السفهاء مع الحق فى كل زمان أو مكان غلب فيه الجهل . وكان المنافقون إذا رأوا ما فيه المؤمنون من الشدة والبأساء يمنّون أنفسهم بغلبة إخوانهم القدماء من الجاحدين . وينتظرون السوء بالمسلمين لقلة عددهم وخلوّ أيديهم من المال . وكان الضعفاء من حديثى العهد بالإسلام من المؤمنين ، تمرُّ بنفوسهم خواطر السوء عند ما تشتد عليهم حلقات الضيق . فأراد الله سبحانه أن يمحص من نفوس هؤلاء ، ويبكّت الآخرين، فأكد الخبر لنبيه، أن ما يخيلة النظر القصير قليلا ، هو الكثير البالغ الغاية فى الكثرة . ليؤكد له الوعد بأنه هو الفائز ، وأن متبعه هو الظافر ، وأن عدوه هو الخائب ، الأبتر الذى يمحى ذكره ويعفى أثره .

تنبيه :

لما روى من سبب نزول هذه السورة مما رويناه ، ذهب إمام اللغة ابن جنّى إلى تأويل الكوثر بالذرية الكثيرة . وهو معنى بديع فيه مناسبة لسبب النزول .

قال ابن جنّى فى (شرح ديوان المتنبى) فى قوله يمدح طاهر بن الحسين العلوّى :

وأبهرُ آياتِ التهامىّ أنه أبوك وأجْدَى مالكم من مَناقبِ

فى جملة ما أملاه علىّ أبو الفضل العروضىّ : أن قريشا وأعداء النبىّ ﷺ كانوا يقولون : إن محمداً أبتر لاعقب له . فإذا مات استرحنا منه فأنزل الله تعالى : (إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ) أى العدد الكثير، ولست بالأبتر الذى قالوه . ومراده بالعدد الكثير الذرية وهم أولاد فاطمة.

قال العروضىّ : فإن قيل: الإنسان بالأبناء والآباء والأمهات . قلنا : هذا خلاف حكم الله تعالى فإنه قد قال[1]: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ) إلى قوله(وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ)فجعل عيسى من أولاد إبراهيم ومن ذريته . ولاخلاف فى أنه لم يكن لعيسى أب . انتهى .

وقد بسطنا أدلة صحة انتساب الأسباط إلى أجدادهم فى كتاب (شرف الأسباط) بما لامزيد عليه . فراجعه .

---

(١) [٦ / الأنعام / ٨٤] .